[71] ابن أبي بكر: إلى متى ؟ قد وا أعذرنا وأعذرت إن كنت تريد الاعذار، وا لتأذنن لنا في لقاء القوم أو لننصرفن. إلى متى تستهدف نحورنا للقتال والسلاح، يقتلوننا رجلا رجلا ؟ فقال علي: قد وا أرانا أعذرنا. أين محمد ابني ؟ فقال: هأنذا. فقال: أي بني، خذ الراية، فابتدر الحسن والحسين ليأخذاها، فأخرهما عنها، وكان على يؤخرهما شفقة عليهما، فأخذ محمد الراية، ثم قام علي، فركب بغلة رسول ا صلى ا عليه وسلم، ثم دعا بدرع رسول ا صلى ا عليه وسلم فلبسها، ثم قال: احزموني، فحزم بعمامة أسفل من سرته، ثم خرج وكان عظيم البطن، فقال لابنه: تقدم وتضعضع (1) الناس حين سمعوا به قد تحرك، فبينما هم كذلك إذ سمعوا صوتا، فقال علي: ما هذا ؟ فقيل عائشة تلعن قتلة عثمان. فقال علي ورفع بصره إلى السماء: لعن ا قتلة عثمان في السهل والجبل، وقد كان علي عبأ الناس أثلاثا، فجعل مصر قلب العسكر، واليمن ميمنته، وربيعة ميسرته، وعبأ أهل البصرة مثل ذلك، فاقتتل القوم قتالا شديدا، فهزمت يمن البصرة يمن علي، وهزمت ربيعة البصرة ربيعة علي، قال حية بن جهين: نظرت إلى علي وهو يخفق نعاسا فقلت له: تا ما رأيت كاليوم قط، إن بإزائنا لمائة ألف سيف، وقد هزمت ميمنتك وميسرتك، وأنت تخفق نعاسا، فانتبه ورفع يديه، وقال: اللهم إنك تعلم أني ما كتبت في عثمان سوادا في بياض، وأن الزبير وطلحة ألبا وأجلبا على الناس، اللهم أولانا بدم عثمان فخذه اليوم. ثم تقدم علي فنظر إلى أصحابه يهزمون ويقتلون فلما نظر إلى ذلك صاح بابنه محمد ومعه الراية، أن اقتحم، فأبطأ وثبت، فأتى علي من خلفه، فضربه بين كتفيه، وأخذ الراية من يده، ثم حمل، فدخل عسكرهم وإن الميمنتين والميسرتين تضطربان، في إحداهما عمار، وفي الاخرى عبد ا بن عباس، ومحمد بن أبي بكر، قال: فشق علي في عسكر القوم يطعن ويقتل، ثم خرج وهو يقول: الماء الماء، فأتاه رجل بإداوة فيها عسل فقال له: يا أمير المؤمنين، أما الماء فإنه لا يصلح لك في هذا المقام، ولكن أدوقك هذا العسل فقال: هات، فحسا منه حسوة، ثم قال: إن عسلك لطائفي (2)، قال الرجل: لعجبا منك وا يا أمير المؤمنين، لمعرفتك الطائفي من غيره في هذا اليوم، وقد بلغت القلوب الحناجر فقال له علي: إنه وا يا بن أخي ما ملا صدر عمك شئ قط، ولا هابه شئ ثم أعطى الراية لابنه، وقال: هكذا فاصنع، فتقدم محمد بالراية ومعه الانصار حتى انتهى إلى الجمل والهودج وهزم ما يليه، فاقتتل الناس ذلك اليوم قتالا شديدا حتى كانت الواقعة والضرب على الركب

---

(1) تضعضع الناس: خضعوا وذلوا. (2) طائفي: نسبة إلى الطائف وهي بلاد ثقيف بالحجاز. (*)